OPEN ACCESS
Journal of Islamic & Religious Studies
ISSN (Online): 2519-7118
ISSN (Print): 2518-5330
www.jirs.uoh.edu.pk/jirs

JIRS, Vol.:4, Issue: 1, Jan-June 2019
DOI: 10.36476/JIRS.4:1.06.2019.04, PP: 23-33

السيرة النبوية في شعر المديح النبوي المعاصر

Biography of the Prophet in the Modern Arabic Poetry in Prophetic Praise

Dr. Asif Saleem
Assistant Professor, Department of Arabic,
University of Karachi, Pakistan

Version of Record Online/Print: 27-Jun-19
Accepted: 27-May-19
Received: 31-Jan-19

Abstract

This article sheds light on the Prophetic biography in Arabic poetry of the Contemporary Prophetic Praise. The poets mentioned in this article have described different events in the life of the Holy Prophet (P.B.U.H). Some poets have focused his life, right from birth to death, while others have discussed different life events. Events like the night journey of Holy Prophet (Laila-tul-Mi'rāj) or hijrah of Holy Prophet (P.B.U.H) from Makkah to Madinah or ghazwāt (battle fought by the Holy Prophet) could be found. Similarly, some have defended Holy Prophet against false accusations on him.

***Keywords**: prophetic biography, poetry of prophetic praise, Arabic, poetry*

المقدمة:

"إن شخصية الرسول ﷺ أكثر الشخصيات تأثيراً في عصرها والعصور التي تليها، وشخصيته ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، ويتضح لنا ذلك في الأدب العربي قديماً وحديثاً، فهو المعين الذي يرتشف منه الأدباء، لكونه القدوة والمثل الأعلى للقيم وحسن الخلق، وحامل الرسالة ومبلغها. "فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائما تُحب، وتحاط من الناس بالإعجاب ويلتف حولها المعجبون، يلتصقون بها التصاقا بدافع الإعجاب والحب، لكن رسول الله ﷺ يضيف إلى عظمته تلك، أنه رسول الله، متلقي الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس وذلك بُعد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط، كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضا لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ، البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئا واحدا في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية، حب عميق شامل للرسول البشر، أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله، ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك"[1].

هذا الحب حرك أحاسيس الشعراء وقريحتهم الشعرية، فأخذوا ينشدون الشعر عن الرسول ﷺ وسيرته العطرة،

CC BY

وينظمونه كلاً بأسلوبه ومدى حبه وعشقه له.

أهمية البحث:

شعر المديح النبوي يساهم في نشر الإسلام والدعوة والترغيب إليه، من خلال ذكر ما قاله الشعراء عن سيد الكائنات، من وصف لإخلاقة العظيمة، وشمائله الحميدة، وفضائله الكريمة وسيرته العطرة. مما يجعل شعر المديح النبوي عنصراً من عناصر الدعوة الإسلامية. كما أنه يبيّن الجودة الفنية للشعر الإسلامي والتي يرى معظم مخالفين فكرة الأدب الإسلامي تجرده منها، باعتقادهم انه يغلب عليه الجانب الفكري ويفتقد الجانب الفني.

شعر "المديح النبوي" كانت بدايته في عصر النبوة المباركة حينا امتدح أبو طالب الرسول ﷺقائلا:

"وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّافُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وفواضل

فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا ... وَزِينًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طائش ... يوالي إِلَهًا لَيْسَ عَنهُ بغافل"[2]

وقال يفاخر في نسبه الشريف:

"إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا ... فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ... هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَسَمِينُهَا ... عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا

وَنَحْمِي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ ... وَنَضْرِبُ عَنْ أَجْحَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا

بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الذَّوَاءُ وَإِنَّمَا ... بِأَكْنَافِنَا تَنْدَى وَتَنْمَى أُرُومُهَا"[3]

ومدحه عمه العباس فأنشأ يقول:

"مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ ... وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدَفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ ... وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ ... وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ"[4]

ثم دافع شعراء النبي ﷺ عنه، حيث كان الشعر من الأسلحة المقالية التي يستخدمها العرب حينئذٍ بين

الهجاء والثناء. وقال ابن سيرين:

"انتدب لهجو رسول الله ﷺ من المشركين من ذكرنا وغيرهم، فانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان، وكعب بْن مالك، وعبد الله بْن رواحة، فكان حسان، وكعب يعارضانهم، مثل قولهم في الوقائع، والأيام، والمآثر، ويذكرون مثالبهم، وكان عَبْد اللَّهِ بْن رواحة يعيرهم بالكفر، وبعبادة ما لا يسمع، ولا ينفع، فكان قوله أهون القول عليهم، وكان قول حسان، وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان قول عَبْد اللَّهِ أشد القول عليهم"[5].

"وتطور المديح النبوي على مر العصور، فازدهر شعر المديح النبوي وحقق وجودًا متميزًا في بيئة المتصوفة أواخر القرن السابع، وأوائل القرن الثامن الهجري في عصر الدول والإمارات المتتابعة، فقد كثر شعراء المديح النبوي في هذا العصر، وكثرت قصائده. وحقق شعر المديح النبوي تطوراً وازدهاراً ملحوظاً في العصر الحديث، ولم يقتصر المديح النبوي على الصوفية، فهناك شعراء كثيرون مدحوا النبي ﷺ ولم يكونوا متصوفة؛ لأنَّ حبه ومدحه لا يقتصر على فئةٍ، أو مذهب أو جماعة من المسلمين فقد أرسل للناس كافة"[6].

ويقول الدكتور علي جمعة مفتي مصر السابق:

"إن مدح الأمة للنبي ﷺ دليل علي محبتها له، وهذه المحبة تعد أصلا من أصول الإيمان، قال تعالى:﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[7]، وقال ﷺ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ". صحيح البخاري. وقال أيضًا: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" رواه البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه"[8].

وقد عرف العلماء المديح النبوي بأنه:

"هو الشعر الذي ينصب علي مدح النبي ﷺ بتعداد صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، وإظهار الشوق لرؤيته، ولزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته ﷺ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، فهو شعر صادق بعيد عن التزلف والتكسب، ويرجي به التقرب إلي الله عز وجل"[9].

وعرفه الدكتور زكي مبارك بأنه:

"فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن

العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[10].

فيمدح الشعراء الرسول ﷺ في العصر الحديث كلاً بأسلوبه الشعري الخاص به، وبألوان وأساليب مختلفة، فمنهم من يمتدحه ويذكر خصاله وصفاته الطيبة في ذكرى يوم مولده، ومنهم يذكر سيرته العطرة في صورة ملحمة، والبعض الآخر يبدأ مدحه على نهج البردة، ونرى لوناً جديداً من المديح النبوي في العصر الحديث ألا وهو الدفاع عن الرسول ﷺ ضد ما يشنه أعداء الإسلام من حملات بصور وأفلام مسيئة عن سيد الكائنات.

وقد عكس الشعراء هذا كله في صورة شعر رائع صادر من أعماق القلب، يتمتع سامعه أو قارئه ويذوب فيه وينغمس بداخله، شاعراً أن الشاعر يقول ما يريد قوله بنفسه ولكن يعجز لسانه عن قوله وذلك لما للشاعر من قريحة لا يمتلكها كل شخص.

نماذج من شعر المديح النبوي:

فيقول إبراهيم علي بديوي[11] في ذكرى مولد الرسول ﷺ:

طافت بأسماع الزمان بشائره ... فهفا له قلب الزمان وخاطره

وتعلقت عين الحياة بدارا ... آمنة تناجي ليلها وتساهره

فإذا مهاد أشرقت جنباته ... وزكت بأعطار السماء ستائره

ثم يذكر الأحداث المنسوبة بيوم مولد الرسول ﷺ مثل فيضان بحيرة ساوة بالعراق وإنخماد نار الفرس التي لم تنخمد من عدة سنين:

وإذا بنار الفرس تخمد فجأة ... ولسانها المشبوب يسكن ثائره

وإذا بحيرة ساوة ريعت فغاض ... معينها وتشربته مغاوره

ويتحدث بعد ذلك عن معجزات الرسول ﷺ مثل بلاغته في جوامع الكلم وحنين الجذع بالمسجد النبوي:

أما البيان فأنت ناظم عقده ... وإليك ينسب دره وجواهره

لك من جوامعه ومن آياته ... ما أعوزت أشباهه ونظائره

ولك البدائع تفتن الفصحى ويح ... سد فنها السحر البديع وساحره

يكفيك أن الجذع حن حنينه ... لما استبان إليه أنك هاجره[12]

بينما نرى أحمد شوقي[13] في مدحه لمولد الرسول ﷺ وذاكراً جوانب من سيرته العطرة قائلاً:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياء ... وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ

الروحُ وَالمَلأُ المَلائِكُ حَولَه ... لِلدينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ

ويمتدحه بشجرته الطيبة ونسبته إلى بيت الأنبياء عليهم السلام:

بَيتُ النَبِيّينَ الَّذي لا يَلتَقي ... إِلّا الحَنائِفُ فيهِ وَالحُنَفاءُ

خَيرُ الأُبُوَّةِ حازَهُم لَكَ آدَمٌ ... دونَ الأَنامِ وَأَحرَزَت حَوّاءُ

هُم أَدرَكوا عِزَّ النُبُوَّةِ وَانتَهَت ... فيها إِلَيكَ العِزَّةُ القَعساءُ

خُلِقَـــت لِبَيتِـــكَ وَهـــوَ مَخلـــوقٌ لَـــه إِنَّ العَظـــائِمَ كُفؤُهـــا العُظَمـــاءُ[14]

وتبتدي عائشة التيمورية[15] قصيدتها على نهج البردة فتقول:

أَعَـــن وَمـــيضِ سَـــرى في حُنـــدُس الظُلـــم أَم نِســـمَة هاجَـــت الإِشـــواق مـــن أضـــم
فَجَـــدَّدَت لي عَهـــدا بِالغَـــرامِ مَضـــى وَشـــاقَني نَحـــو اِحبـــابي بِـــذي سِـــلم
دَعـــا فُـــؤادي مِـــن بَعـــد السَـــلو إِلى مـــا كُنـــتُ أَعهـــد في قَلـــبي مِـــن القـــدم
وَهـــاجَني لِحَبيـــب عِشـــق مَنظَـــرَه يَمحـــو وَيُثبِـــت مـــا يَهـــواه مِـــن عـــدمي

وتتوسل لحصول شفاعته يوم الحساب:

وَمـــا سِـــوى فـــوز كـــوني بَعـــضُ أُمَّتِـــه ذُخـــرا أَفـــوزُ بِـــهِ مِـــنَ زلـــة الوَصـــم
اِلّا اِلتِماســـي عَفـــوا بِالشَـــفاعَةِ لي مِـــن خـــاتِمِ الرُسُـــلِ خَـــيرُ الخَلـــقِ كُلُّهُـــم
مَـــددت كَـــف الرَجـــا أَرجـــو مراحمـــه وَقَـــد حَلَّلـــت بِـــهِ في بَهـــرَة الحـــرم[16]

ثم نرى في هذا العصر لونا جديدا من الوان المديح وهو الملحمة وهي عبارة عن قصة شعرية في صورة قصيدة طويلة يذكر الشاعر فيها حياة واحداث شخصية ما. وكانت تستخدم في الأدب القديم. وفي العصر الحديث قام الشعراء الإسلاميون أمثال أحمد محرم وعمر أبو ريشة باستخدام هذا الصنف الأدبي للمديح النبوي.

عمر أبو ريشة[17] يعكس السيرة الطيبة في ملحمته من قبل ولادته المباركة إلى ما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فيذكر ولادته ورضاعته:

وأبـــو طالـــب علـــى مـــذبح الأصـــنام يزجـــي لـــه ضـــحايا الفـــداء
هـــو ذا أحمـــد فيـــا منكـــب الغـــبراء زاحـــم مناكـــب الجـــوزاء
بســـم الطفـــل للحيـــاة وفي جنبيـــه ســـر الوديعـــة العصـــماء
هـــب مـــن مهـــده ودب غريـــب الـــدار في ظـــل خيمـــة دكنـــاء
تتبـــارى حليمـــةٌ خلفـــه تعـــدو وفي ثغرهـــا افـــترار رضـــاء
عرفـــت فيـــه طلعـــة الـــيمن والخـــير إذا أجـــدبت ربى البيـــداء

ويذكر نزول القرآن الكريم:

وإذا هـــاتف يصـــيح بـــه اقـــرأ فيـــدوي الوجـــود بالأصـــداء
وإذا في خشـــوعه ذلـــك الأمـــي يتلـــو رســـالة الإيحـــاء

والهجرة:

أمـــر الـــوحي ان يحـــث خطـــاه في الـــدجى للمدينـــة الزهـــراء
وســـرى واقتفـــى ســـراه أبـــو بكـــر وغـــابا عـــن أعـــين الرقبـــاء
وأقامـــا في الغـــار والمـــلأ العلـــوي يرنـــو إليهمـــا بالرعـــاء
وقفـــت دونـــه قـــريش حيـــارى وتنزهـــت جريحـــة الكـــبرياء

وفتح مكة، خطبة الوداع ووفاة الرسولﷺ:

حـــلّ في مكـــة ووجهـــك في الـــترب ... خضـــيبٌ ووجهـــه في الســـماء
ومشـــى للصـــلاة والكعبـــة الســـمحة ... في غمـــرة مـــن النعمـــاء
وتعـــالى التكبـــير يا ســـدةَ الأصـــنام ... ميـــدي ويا علـــوج تنـــائي
واشـــهدي يا سمـــاء أن رســـول الله ... أوفى بالعهـــد خـــير وفـــاء
وجـــم المؤمنـــون في رهبـــة الظـــن ... ونامـــوا علـــى رؤى ســـوداء
وتمطَّـــى علـــى المدينـــة صـــبحٌ ... كاســـف الـــوهج قـــاتم الأفيـــاء
أحمـــد ودَّع الحيـــاة، فيـــا فـــاروق ... أقصـــرْ مـــا فيـــك مـــن غلـــواءِ
كـــلُّ حـــيٍ رهـــن الفنـــاء وتبقـــى ... آيـــة الله فـــوق طـــوق الفنـــاء[18]

أما الشاعر أحمد محرم[19] في ديوانه "الإلياذة الإسلامية" يذكر السيرة المباركة بتفاصيل اكثر في عدة قصائد، وذكرت أول قصيدة في الديوان وهي "مطلع النور"، ويذكر فيها الشاعر ما عرضه كفار قريش على الرسول ﷺ لترك الدعوة إلى الإسلام، ورد الرسول ﷺ عليهم:

جـــاءه عمُّـــه يَقـــول أترضـــى ... أن يُقيمـــوك ســـيِّداً أو أمـــيرا
وَيَصُـــبُّوا عليـــكَ مـــن صـــفوةِ المـــا لِ ... حَيـــاً مـــاطراً وَغيثـــاً غزيـــرا
قـــال يا عـــمِّ مـــا بُعثـــتُ لـــدنيا ... أبتغيهـــا ومـــا خُلِقـــتُ حَصـــورا
لـــو أتـــوني بالنّـــيرين لأعـــرض ... ت أُريهـــم مطـــالبي والشُّـــقورا

ويذكر قصة المطعم بن عدي وإجارته للرسول ﷺ بعد ما لقى من إيذاء وضرب بالحجارة من بني ثقيف بالطائف:

مـــا رأينـــا كـــالمطعمِ بـــن عـــديٍّ ... جافيـــاً واصـــلاً هَيـــوباً جَســـورا
آثـــر الكُفـــر مِلّـــةً وأجـــارَ ال ... ديـــنَ مُستضـــعفاً يَـــدورُ شَـــطيرا
رَامَ بالطـــائفِ المقـــامَ فأعيـــا ... فـــانثنى يَطلـــبُ الأمـــانَ حَســـيرا
وَكَّـــلَ اللهُ بالنُّبـــوَّة منـــه ... أســـداً يَمـــلأُ الفضـــاءَ زَئـــيرا
قائمـــاً في السّـــلاحِ يَجمـــعُ حـــولَيْ ... هِ شُـــبولاً تَحمِـــي الحِمَـــى وَتُمـــورا
يَمنـــعُ القـــومَ أن يصـــدّوا رســـولَ ال ... لَـــهِ عـــن بيتِـــه وَيَأبَى الخُفـــورا

ويذكر من معجزات الرسول ﷺ ما جرى بخيمة أم معبد وحلب الشاة الهزيلة العجفاء:

مـــا حـــديثٌ لأمّ معبـــدَ تسْـــتسْ ... قيـــهِ ظمـــأى النفـــوسِ عـــذباً نمـــيرا
ســـائلِ الشّـــاةَ كيـــف دَرّتْ وكانـــت ... كـــزَّةَ الضَّـــرعِ لا تُرجّـــى الـــدُّرُورا
بركـــاتُ السَّـــمح المؤمَّـــلِ يَقـــرِي ... أُمـــمَ الأرضِ زائـــراً أو مـــزورا
مظهـــرُ الحـــقِّ للنبـــوّةِ ســـبحا ... نـــكَ ربّاً فـــرد الجـــلال قـــديرا[20]

أما الشاعر محمود سامي البارودي[21] يذكر في كتابه "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" قصيدة، ضمّنها سيرة الرسول ﷺ مستمدة من كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، من يوم مولده إلى وفاته ويتضمن الكتاب 447 بيتاً.

فيذكر قصة البحيرة:

وَقـــالَ عَنـــهُ بَحِـــيرا حِـــينَ أَبصَـــرَهُ ... بِأَرْضِ بُصـــرى مَقـــالاً غَـــيرَ مُـــتَّهَمِ
إِذ ظَلَّلَتـــهُ الغَمـــامُ الغُـــرُّ وَانحَصَـــرَت ... عَطفـــاً عَلَيـــهِ فُـــروعُ الضَّـــالِ وَالسَّـــلَمِ
بِأَنَّـــهُ خـــاتَمُ الرُّســـلِ الكِـــرامِ وَمَـــن ... بِـــهِ تَـــزُولُ صُـــرُوفُ البُـــؤسِ وَالـــنِّقَمِ
هَـــذا وَكَـــم آيَـــةٍ ســـارَت لَـــهُ فَمَحَـــت ... بِنُورِهـــا ظُلَمَـــةَ الأَهـــوالِ وَالقُحَـــمِ[22]

ويذكر لقب الرسول ﷺ بالصادق الأمين وتجارته بمال خديجة رضي الله عنها:

وَلَقَّبَتـــهُ قُـــرَيشٌ بِالأَمـــينِ عَلـــى ... صِـــدقِ الأَمانَـــةِ وَالإِيفـــاءِ بِالـــذِّمَمِ
وَدَّت خَديجَـــةُ أَن يَرعـــى تِجارَتَهـــا ... وِدادَ مُنتَهِـــزٍ لِلخَـــيرِ مُغتَـــنِمِ
فَشَـــدَّ عَزمَتَهـــا مِنـــهُ بِمُقتَـــدِرٍ ... ماضِـــي الجِنـــانِ إِذا مـــا هَـــمَّ لَم يُحـــمِ[23]

ويتحدث عن الهجرة:

"فَاســـتَجمَعَت عُصَـــباً في دارِ نَـــدوَتِها ... تَبغـي بِـهِ الشَّـرَّ مِـن حِقـدٍ وَمِـن أَضَـمِ
وَلَـــو دَرَتْ أَنَّهـــا فِيمـــا تُحاوِلُـــهُ ... مَخذولَـــةٌ لَم تَسُـــمْ في مَرتَـــعٍ وَخِـــمِ
أَولى لَهـــا ثُمَّ أَولى أَن يَحيـــقَ بِهـــا ... مـــا أَضـــمَرَتهُ مِـــنَ البَأســـاءِ وَالشَّـــجَمِ
إِنّي لَأَعجَـــبُ مِـــن قَـــومٍ أُولي فِطَـــن ... بَاعُـــوا النُّهَـــى بِالعَمَـــى وَالسَّـــمْعَ بِالصَّـــمَمِ
يَعْصُـــونَ خـــالِقَهُم جَهـــلاً بِقُدرَتِـــهِ ... وَيَعكُفُـــونَ عَلَـــى الطَّـــاغُوتِ وَالصَّـــنَمِ
فَـــأَجمَعُوا أَمـــرَهُم أَن يَبْغتُـــوهُ إِذا ... جَـــنَّ الظَّـــلامُ وَخَفَّـــت وَطْـــأَةُ القَـــدَمِ
وَأَقبَلُـــوا مَوهِنـــاً في عُصـــبَةٍ غُـــدُرٍ ... مِـــنَ القَبائِـــلِ باعُـــوا الـــنَّفسَ بِالـــزَّعَمِ
فَجـــاءَ جِبريـــلُ لِلهـــادِي فَأَنبـــأَهُ ... بِمـــا أَســـرُّوهُ بَعـــدَ العَهـــدِ وَالقَسَـــمِ
فَمُـــذ رَآهُـــم قِيامـــاً حَـــولَ مَأمَنِـــهِ ... يَبغُـــونَ ســـاحَتَهُ بِالشَّـــرِّ وَالفَقَـــمِ
نادى عَلِيّـــاً فَأَوصـــاهُ وَقـــالَ لَـــهُ ... لا تَخـــشَ وَالـــبَس رِدائـــي آمِنـــاً وَنَمِ
وَمَـــرَّ بِالقَـــومِ يَتْلُـــو وَهْـــوَ مُنصَـــرِفٌ ... يَـــس وَهـــيَ شِـــفاءُ الـــنَّفسِ مِـــن وَصَـــمِ
فَلَـــم يَـــرَوهُ وَزاغَـــت عَنـــهُ أَعيُـــنُهُم ... وَهَـــل تَـــرى الشَّـــمسَ جَهـــراً أَعـــيُنُ الحَـــنَمِ[24]

ويذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي[25] سيرة الرسول ﷺ بإختصار "الباكورة"، وهي أول قصيدة مطولة كتبها في مدح الرسول ﷺ، ويبلغ عدد أبياتها 224 بيتا، ويركز فيها على ليلة الإسراء والمعراج فيقول:

بدء الإسراء:

ذهـــب الامـــين وميكائيـــل صـــحبة ... أخـــذا رســـول الله للإســـراء
"قـــد يممـــا بئـــرا لزمـــزم نابعـــا ... ليطهـــرا قلبـــا لـــه بالمـــاء

ذهبـــا فشـــقا صـــدره بمـــرؤة غســـلاه غســـلك أنظـــف الأشـــياء
مـــلآه إيمـــانا وعلمـــا راســـخا قـــد أثلجـــاه بحكمـــة الحكمـــاء
خـــلاه تـــوا كالنطاســـي بارعـــا لكـــن همـــا نطـــس بغـــير دواء

البراق:

ختمـــاه ختمـــا للنبـــوة محكمـــا و اتي الـــبراق لأحمـــد بـــولاء
لا بالمـــذكر و المؤنـــث مســـرج خـــير المطـــايا مركـــب السـعداء
هـــو جـــامع مـــن كـــل حســـن خلقـــة متوســـط في الخفـــض و الإعـــلاء
رجـــلاه بـــل ويـــداه عنـــد ضـــرورة قصـــرت وطالـــت ســـاقها برضـــاء
و خطـــاه في قطـــع الفـــلاة كلحظـــه و لحاظـــه اســـتولت علـــي أرجـــاء

ولوج السماء الأولي :

لمـــا أتـــوا أولي الســـموات العـــلا قـــرع الأمـــين لبابهـــا بمضـــاء
قـــال الموكـــل بالســـماء مخاطبـــا جبريـــل هـــذا قائـــد الأضـــواء
مـــن معـــك يا جبريـــل قـــال محمـــد نورالهدايـــة صـــادق الأنبـــاء
ســـأل الموكـــل هـــل حظـــي برســـالة فأجابـــه مهـــدي إلي الغـــبراء
فـــتح الموكـــل بالســـما فـــإذا بـــه أصـــل الخليقـــة دوحـــة الآباء
نـــوران قـــد لمعـــا علـــي أرجائهـــا وتـــري الســـماء تزينـــت ببهـــاء
و أراه آدم كـــل شـــئ فوقهـــا مـــتهللا بفضـــيلة شمـــاء

فرض الصلاة :

فـــرض الإلـــه علـــي النـــبي لأمـــة خمســـين فرضـــا واجـــبي الأداء

أوبته صلي الله عليه وسلم:

حظـــي النـــبي محمـــد بإلهـــه و قـــد انثـــني المخفـــوف بالآلاء
و إذا بموســـي قـــال كـــم فرضـــا لكـــم؟ فأجابـــه خمســـون لـــلأداء
ارجـــع فســـله كـــي يخفـــف ربكـــم فرضـــا فـــأنتم أضـــعف الأبنـــاء

تخفيف الصلاة و رجوعه:

رجـــع النـــبي غلـــي الإلـــه مكـــررا أبقـــي لنـــا خمســـا بخـــير دواء
نـــزل النـــبي و قـــد تحلـــي بالعـــلا وأتي بخـــير شـــريعة سمحـــاء
و الســـر في تزويـــد موســـي أحمـــدا كـــي يســـتريح محمـــد النـــبلاء
ركـــب النـــبي مفـــاخرا ببراقـــه جبريـــل ســـار بـــه بغـــير ثنـــاء[26]

وجاء علال الفاسي[27] بلون جديد للمديح النبوي باستخدامه الفاظا وكلمات سهلة وبسيطة وابياتا مختصرة

على مستوى فهم الأطفال يعرض فيها رسالة الرسول ﷺ:

سَـــــــــيِّدُنَا مُحَمَّـــــــــــدُ ... نَبِيُّنَـــــــــــا ٱلْمُمَجَّـــــــــــدُ
أَرْسَـــــــــــلَهُ إِلَهُنَـــــــــــا ... لِلنَّـــــــاسِ كَـــــيْ يُوَحِّـــــــدُواْ
فَجَـــــــــاءَنَا مُبَشِّـــــــــراً ... بِكُـــــــلِّ خَـــــيْرٍ يُسْـــــعِدُ
وَ بِٱلْعَـــــــــذَابِ مُنْـــــــذِرا ... لِكُـــــــلِّ فَـــــرْدٍ يَجْحَـــــدُ
كُنَّـــــا عَلَـــــى ضَـــــلاَلَةٍ ... قَـــــدْ زَالَ عَنَّـــــا ٱلرَّشَـــــدُ
أَنْقَـــــذَنَا مِـــــنَ ٱلْعَمَـــــى ... إِصْـــــــلاَحُهُ ٱلْمُجَـــــــدِّدُ
وَ جَـــــــــاءَنَا بِمِلَّـــــــــةٍ ... فِيهَـــــا ٱلصَّـــــلاَحُ ٱلْأَوْحَـــــدُ[28]

ويصور وليد الأعظمي[29] غزوة بدر مادحاً الرسول ﷺ:

"إذا جلجلـــت الله أكـــبر في الـــوغى ... تخاذلـــت الأصـــوات عـــن ذلـــك النـــدا
هنـــاك التقـــى الجمعـــان جمـــع يقـــوده ... غـــرور أبي جهـــل كهـــر تأســـدا
وجمـــع عليـــه مـــن هـــداه مهابـــة ... وحاديـــة بالآيات في الصـــبر قـــد حـــدا
وشمـــر خـــير الخلـــق عـــن ســـاعد الفـــدا ... وهـــز علـــى رأس الطغـــاة المهنـــدا
وجبريـــل في الأفـــق القريـــب مكـــبر ... ليلقـــي الـــونا والرعـــب في أنفـــس العـــدى
وســـرعان مـــا فـــرت قـــريش بجمعهـــا ... وعافـــت أبا جهـــل هنـــاك ممـــددا
منكســـة الـــرايات مفلولـــة العـــرى ... جريحـــة كـــبر قـــد طغـــى فتبـــددا
ينـــوء بهـــا ثقـــل الهـــوان وهمـــة ... وتفضـــحها أســـرى تريـــد لهـــا الفـــدا[30]

ويدافع عيسى جرابا[31] عن الرسول ﷺ ضد الحملات المشينة والرسوم المسيئة فيقول:

"يَا سَـــيِّدَ الثَّقَلَـــيْنِ مُهْجَـــةُ أَحْـــرُفِي ثَارَتْ ... فِـــدَىً فَرَأْتُـــكَ أَعْظَـــمَ مُفْتَـــدَى
وَافَتْـــكَ خَجْلَـــى كَيْـــفَ لا وَأَمَامَهَـــا ... خَـــيْرُ البَرِيَّـــةِ رَحْمَـــةً وَتَـــوَدُّدَا؟
رَكَضَـــتْ تَـــذُوْدُ وَلِلصَّـــفَاقَةِ أَلْسُـــنٌ ... نَفَثَـــتْ سُمُـــوْمَ الكُفْـــرِ حِقْـــداً أَسْـــوَدَا
بَاتَـــتْ تُشِـــيْرُ إِلَيْـــكَ أَطْمَعَهَـــا تَخَـــا ... ذُلُ أُمَّـــةٍ مِلْيَارُهَـــا يَهْـــذِي سُـــدَى
إِلاَّ رَسُـــوْلَ اللهِ مَـــا أَعْرَاضُـــنَا ... وَدِمَـــاؤُنَا أَلاَّ تَكُـــوْنَ لَـــهُ فِـــدَى؟!
بِأَبِي وَأُمِّـــي أَنْـــتَ دُوْنَـــكَ مُهْجَـــتِي ... فِي صَـــدْرِ مَـــنْ سَـــلَقُوْكَ أَغْرِسُـــهَا مُـــدَى[32]

الخاتمة:

كانت هذه بعض النماذج من أشعار المديح النبوي، والمستنبطة من القرآن الكريم وكتب السيرة العطرة المختلفة. ورأينا من خلالها سيرة الرسولﷺ، وخصاله وصفاته الحميدة ومعجزاته، وأخلاقه العظيمة، وما كابده عليه الصلاة والسلام من أجل نشر الإسلام، ومدى حبه في قلوب المسلمين في جميع أصقاع العالم، وكيف يجاهد ويدافع كل منا بوسائله وبما في قدرته للدفاع عنه ضد الحملات المشينة والصور المسيئة، التي يشنها أعداء الدين. ومررنا فيها

عبر ألوان المديح النبوي القديم منها والمستحدث، وهذا مما يساعد في نشر الدين الإسلامي والدعوة والترغيب إليه.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش(References)

[1] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الطبعة الثالثة 1982م، دار الشروق، بيروت ، لبنان، 2:34

Muḥammad Quṭb, *Manhaj al Tarbiyyah al Islāmiyyah*, (Beirut: Dār al Shurūq, 3rd Edition, 1982), 2:34

[2] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين المتوفى: 213هـ، السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1955م،280-1:276

Ibn Hishām, ‘Abdul Malik Bin Hishām, *Al Sīrah al Nabaviyyah*, (Egypt: Maṭba’ah Muṣṭafa al Bābī, 2nd Edition, 1955), 1:276-280

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1997م، 3:368

Ibn Kathīr, Isma’īl bin ‘Umar, *Al Bidāyah wal Nihāyah*, (Dār Hijr lil Ṭaba’ah wal Nashr wal Tawzī‘ wal E’lān, 1st Edition, 1997), 3:368

[4] نفس المصدر، ص: 369

Ibid., p:369

[5] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى: 630هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1994م، 2:6

Ibn Al Athīr, ‘Alī bin Muḥammad bin Muḥammad bin ‘Abdul Karīm, *Usd al Ghābah fī Ma’rifah al Ṣaḥabah,* (Beirut: Dār al Kutub al ‘Ilmiyyah, 1st Edition, 1994), 2:6

[6] دار الأفتاء المصرية، فتاوى بحثية، المدائح النبوية، 2015/09/15م.

http://www.dar-alifta.org/AR/ViewResearch.aspx?ID=238&LangID=1

[7] سورة التوبة: 24

Surah al Tawbah, 24

[8] خالد المطعني، ظاهرة مصرية أصيلة:الابتهالات الدينية منابر لنشر الإسلام، صحيفة الأهرام العدد 46249، 22 يوليو 2013.

Khalid al Muṭ‘anī, *Ẓāhirah Miṣriyyah A’ṣliyyah: Al Ibtihālāt al Dīniyyah Manābir Li Nashr al Islām*, (Ṣaḥīfah Al A’hrām, Vol. 46249, 22 July 2013)

[9] نفس المصدر.

Ibid.

[10] زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار المحجة البيضاء، طبعة مصورة عن الطبعة السابقة، ص:17

Zakī Mubārak, *Al Madā’iḥ al Nabaviyyah fīl Adab al ‘Arabī,* (Dār al Ḥujjah al Bayḍā’), p:17

[11] شاعر وعالم دين مصري برز في الشعر الإيماني، توفى إلى رحمة الله عام 1983.

[12] http://www.poemhunter.com/poem/-5076 (access 15/10/2014) .

[13] أشهر شعراء العصر الحديث، يلقب بأمير الشعراء، توفي في عام 1932م.

[14] الشوقيات، دار العودة، بيروت لبنان 1998م، 1:34

Al Showqiyyāt, (Beirut: Dār al 'Awdah, 1998), 1:34

[15] شاعرة وأديبة، من نوابغ مصر. كانت تنظم الشعر بالعربية والتركية والفارسية، توفيت في عام 1902م.

[16] ديوان حلية الطراز، المطبعة العامرة الشرقية, مصر، 1885م، ص: 4

Dīwān Ḥilyah al Ṭirāz, (Egypt: Al Maṭba'ah al 'Āmirah al Sharqiyyah, 1885), p:4

[17] شاعر، أديب ودبلوماسي من سوريا، توفي في 15 يوليو 1990م.

[18]ديوان عمر أبو ريشة، دار العودة، بيروت – لبنان، 1998، 1:495

Dīwān 'Umar Abū Rīshah, (Beirut: Dār al 'Awdah, 1998), 1:495

[19] شاعر مصري، حَسَن الرصف، نقيّ الديباجة. تركيّ الأصل، توفي في عام 1945م.

[20]ديوان مجد الإسلام، مكتبة دار العروبة، مصر، 1963م، ص:3

Dīwān Majd al Islām, (Egypt: Maktabah Dār al 'Urūbah, 1963), p:3

[21] شاعر مصري وأحد زعماء الحركة العرابية ورئيس وزراء مصر توفي في 12 ديسمبر 1904.

[22] كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، بسراي البارودي بغيط العدة بمصر، 1327هـ، ص:8

Kashf al Ghummah fī Madḥ Sayyid al Ummah, (Matba'ah al Jarīdah, 1327), p:8

[23] نفس المصدر، ص: 9.

Ibid., p:9

[24] نفس المصدر، ص: 19،20.

Ibid., p:19,20

[25] عالم دين وأديب وشاعر ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث.

[26] الشعراوي، محمد متولي، قصيدة الباكورة : الإسراء والمعراج مع مقدمة في موجز حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر معجزاته، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة ، 1990.

Al Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī, *Qāṣīdah al Bākūrah: Al I'srā' wal Mi'rāj,* (Cairo: Maktabah al Turāth al Islāmī, 1990)

[27]شاعر، أديب وسياسي من المغرب، توفي عام 1974م.

[28] رياض الأطفال، مطبعة الرسالة، الرباط 1982م، ص: 10،11. نقلاً من مدونة الشاعر أحمد بلحاج آية وارهام

Riyāḍ al Aṭfāl, (Rabat: Maṭba'ah al Risālah, 1982), p:10,11,
http://awabbelhaj.arabblogs.com/archive/2007/3/178094.html (access 15/10/2014)

[29]شاعر، أديب، خطاط وسياسي عراقي ، توفي عام 2004م.

[30] http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=55159&r=&rc=8 (access 15/10/2014)

[31]شاعر سعودي من مواليد عام 1969م، فاز بجائزة «شاعر عكاظ»، في موسم عكاظ السابع.

[32] http://www.samtah.net/vb/showthread.php?s=f63f52156729c2cc46eacb92a34d851f&t=17672 (access 15/10/2014)